المحاضرة الثانية: الخطاب والمنهج: الإحصائي

يمثّل المنهج الإحصائي أحد أهم المناهج العلمية التي أسهمت في إكساب الأبحاث اللغوية الطابع العلمي الدقيق. يتميز هذا المنهج بقدرته على دراسة الظواهر اللغوية وتحليلها وتفصيلها، خاصة بعد شيوع استخدام الحاسوب. لقد مكّنت الإحصائيات الحاسوبية من تجاوز حالة التخمين والارتجال في نتائج البحوث، والتخلص من التعبيرات الغامضة مثل "الكثير" و"القليل" و"الشائع" و"النادر"، والانتقال بها إلى مستوى الإحصاء الرقمي الذي يعتمد على حقائق وقيم عددية دقيقة، فما هو تعريف هذا المنهج؟ وما هي أنواعه؟ وأهميته؟

تعريف المنهج الإحصائي:

هو العلم الذي يدرس كيفية جمع المعلومات من المجتمعات الإحصائية المختلفة سواء بالعد الشامل أم بالمعاينة، وكيفية تحويل هذه المعلومات إلى بيانات رقمية في جداول إحصائية بالإضافة إلى الأساليب المختلفة التي يمكن استخدامها لتحليل هذه البيانات تحليلاً رياضيًّا لاستنتاج المقاييس المختلفة، وأخيرا كيفية تفسير النتائج التي نصل إليها باستخدام هذه الأساليب في التحليل، ثم توضيحها في تحرير نهائي عن موضوع الدراسة الذي أردنا دراسته باستخدام الطريقة الإحصائية.[1] الإحصاء عملية رياضية دقيقة تبدأ بجمع البيانات، سواء بالعد الشامل أو بالمعاينة، وتنظيمها في جداول رقمية. يلي ذلك التحليل الرياضي لاستخلاص المقاييس وتفسير النتائج، لتؤكد هذه العملية على الطبيعة التطبيقية للعلم الذي يكتمل بتقديم تقرير نهائي شامل عن الدراسة.

جذوره التاريخية:

يُعد المنهج الإحصائي من المناهج العلمية الهامة التي أضفت الصيغة الكمية والعلمية على الأبحاث في مجالات متنوعة، خاصة السياسية والاجتماعية، حيث يهتم بدراسة وتحليل الظواهر من الناحية الكمية.

تعود فكرة الإحصاء (بمعنى الحصر والعد) إلى العصور القديمة، فقد استخدمه الفراعنة المصريون في تنظيم شؤون الدولة، كإحصاء السكان والأراضي والمنتجات لإدارة سياسة الدولة وبناء الأهرامات.

---

[1] أمجد إبراهيم سعادة وآخرون، الإحصاء والاحتمالات في التطبيقات الهندسية، 2005، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص 14

كما مارسته الملوك ورؤساء القبائل في العصور الوسطى لمعرفة قوة رجالهم العسكرية. ويُشتق الاسم اللغوي الإنجليزي "Statistiques" من كلمة "state" (الدولة)، مما يدل على ارتباط الإحصاء بشؤون الدولة.

كما كان للتراث الإسلامي إسهام أصيل في الفكر الإحصائي من خلال العد والقياس، ويتجلى ذلك في مساهمات علماء الرياضيات المسلمين، مثل البيروني، التي أرست أساس علم الإحصاء لاحقاً.

في الحضارة الغربية، تطور علم الإحصاء على يد مؤرخين وعلماء بدأوا باستخدامه عملياً في دراساتهم، وتعززت قيمته في أبحاث (أميل دوركايم وهال واكس) حول ظاهرة الانتحار، ومساهمات (مونتير وروسو) في تطويره ضمن العلوم الاجتماعية. وشمل هذا التطور جميع العلوم الأخرى (الإدارية، السياسية، القانونية، إلخ) نتيجة للتطور التكنولوجي الهائل في مجال الحاسبات الإلكترونية والوسائل الإحصائية.

أصبح علم الإحصاء الآن لغة مشتركة وضرورية في كافة التخصصات العلمية؛ لكونه علماً مستقلاً له نظرياته وقواعده ومنهجياته الخاصة. ولما كان المنهج الإحصائي يعتمد على النظريات الرياضية، فقد اكتسب دقة وموضوعية، وأدى هذا الارتباط إلى ظهور علوم جديدة متخصصة، مثل: الإحصاء الرياضي، الميكانيكا الإحصائية، وعلم النفس الإحصائي.[2]

أهم رواده:

- **كارل بيرسون:** عالم رياضيات إنجليزي له الفضل في تأسيس نظام الإحصاء الرياضي .
- **رونالد فيشر:** يُشار إليه غالبًا بـ "أبي الإحصاء الحديث" لمساهماته الاستثنائية في تطوير نظرية البيانات الإحصائية .
- **جون سنكلير:** أدخل مصطلح "الإحصاء" إلى اللغة الإنجليزية عام 1791 .
- **ابن خلدون:** يعتبره البعض من أوائل من عالج قضايا السكان معالجة علمية وربطها بنمو السكان

أنواعه:

[2] صافية كساس، المنهج الإحصائي في فهم الظاهرة اللغوية، ص133-135.

أ- المنهج الإحصائي الوصفي: يركز على وصف وتلخيص الأرقام المجمعة حول موضوع معين وتفسيرها في صورة نتائج، حيث إنّ هنالك مفاهيم وأساليب متعددة لتلخيص البيانات ووصفها، وتحليلها حتى يسهل تفسيرها.

ب- المنهج الإحصائي الاستدلالي أو الاستقرائي: يعتمد هدا المنهج على اختيار عينة من مجتمع أكبر وتحليل، وتفسير البيانات الرقمية المجمعة عنها، والوصول إلى تعميمات واستدلالات على ما هو أوسع وأكبر من المجتمع محل البحث.

خصائصه : للمنهج الإحصائي عدّة خصائص تتجلي في النقاط التالية: [3]

1 -يعتبر منهجا كميا يرتكز على الإحصاء، وبالتالي يساعد على تفسير الظواهر تفسيرا كميا.

2- يتميز بالنتائج الدّقيقة باعتماده اللغة الرياضية، مما يساعد على التنبؤ الدقيق في ميدان الظواهر المدروسة.

3 -يعتبر وسيلة منطقية استقرائية تقوم بتحليل الظاهرة الاجتماعية انطلاقا من جزئياتها وصولا إلى كلياتها, ويتجلي ذلك واضحا في طريقة سبر الآراء حيث يظهر التكامل المنهجي بين المنهج الإحصائي والاستقرائي.

4 -يتميّز بالحكم الموضوعي على الظواهر المدروسة، لأنّ الأرقام هي التي تتكلم، وتبين طبيعة الظاهرة.

أهمية المنهج الإحصائي:

تكمن أهمية هذا المنهج عموما في: [4]

-الارتقاء بجودة وصف البيانات المستخلصة. وفي سعي العلم الدائم لوصف الظواهر بدقة، يوفر المنهج الإحصائي وصفاً أكثر دقة وموثوقية مقارنة بالوصف اللفظي. وبذلك، يُعد الإحصاء وسيلة فعالة لتحقيق الموضوعية والدقة، وهما من أبرز سمات المنهج العلمي.

-ترسيخ الدقة والتحديد في خطوات البحث وفي نمط التفكير، وذلك لأنها تحوّل المعاني والنتائج إلى مفاهيم محددة ومعرفة تعريفاً كمياً قابلاً للقياس.

---

[3] عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، الجزائر: 2005، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 2

[4] صافية كساس، المنهج الإحصائي في فهم الظاهرة اللغوية، ص139.

-القدرة على تلخيص نتائج البحث بطريقة ذات دلالة ويسر .فالبيانات المبعثرة التي يجمعها الباحث تظل مجرد معلومات أولية عديمة المعنى حتى يتم معالجتها وتنظيمها عبر مهارات الباحث الإحصائية

وفي الدرس اللساني تكمن أهمية هذا المنهج في:

-قياس شيوع المفردات والتراكيب والقواعد.

-مقارنة بين مستويات اللغة (شعر/نثر، ماض/حاضر، لهجات مختلفة).

-المساعدة في بناء القواميس والمعاجم والمدققات الآلية.

-دراسة الأسلوبية الإحصائية لتحديد السمات المميزة لكاتب أو نص (مثل دراسات سعد مصلوح).

عيوبه:

على الرغم من أهميته في تحقيق الدقة والموضوعية، يواجه المنهج الإحصائي عدة قيود وعيوب يجب على الباحث أخذها بعين الاعتبار:

1. **القُصور في التعامل مع الجوانب الكيفية (النوعية):**

يعتمد المنهج الإحصائي بشكل حصري على البيانات الكمية (لغة الأرقام)، ما يجعله غير قادر على تقديم تحليل معمق للأبعاد الكيفية، المعنوية، والنفسية للظواهر التي يصعب ترجمتها إلى مقاييس عددية.

2. **خطر التحيّز وسوء الاستخدام:**

سهولة التلاعب: قد تتعرض البيانات الإحصائية للتلاعب أو التحريف (بالتضخيم أو التقليص) عمداً من قبل الباحثين أو الجهات المعنية لتوجيه النتائج نحو أهداف معينة أو إثبات فرضيات خاطئة.

سوء التفسير: قد يؤدي تعقيد البيانات الإحصائية إلى سوء فهمها وتفسيرها بشكل غير دقيق من قبل الباحثين غير المتخصصين أو الجمهور، مما يقود إلى استنتاجات مغلوطة.

3. **الاعتماد على جودة البيانات الأولية:**

مشكلة المصداقية: تعتمد موثوقية النتائج الإحصائية بشكل كلي على جودة ودقة البيانات التي جُمعت. إذا كانت البيانات الأولية غير صادقة، غير دقيقة، أو جُمعت بطريقة غير منهجية، فإن النتائج النهائية ستكون غير صحيحة وغير موثوقة (يُشار إليها بـ "القمامة الداخلة تنتج قمامة خارجة").

تحفُّظ المستجيبين: قد يُدلي المستجيبون بمعلومات غير حقيقية أو متحفظة نتيجة الخوف (كزيادة الضرائب) أو عدم الارتياح، مما يُؤثر سلباً على دقة البيانات.

4. **الحاجة إلى مهارة وخبرة متخصصة:**

يتطلب تطبيق المنهج الإحصائي بنجاح أن يمتلك الباحث مهارات إحصائية عالية وتركيزاً كبيراً لاختيار الاختبارات والأساليب الإحصائية المناسبة لنوع البيانات والمشكلة المدروسة، وتفسيرها بدقة.

قد يؤدي عدم اختيار المقياس المناسب إلى نتائج غير دقيقة ولا تعكس الواقع.

5. **صعوبة تعميم النتائج:**

في حالة استخدام العينات، إذا لم تكن العينة المختارة ممثلة بدقة للمجتمع الأصلي للدراسة، يصبح تعميم النتائج التي تم التوصل إليها على المجتمع الأكبر أمراً غير صحيح وغير موثوق.